

أبو بكر الصديق

- كان خبر إسلام خالد أن عمرو بن العاص لما عاد من الحبشة بعد مقابلة النجاشي لقي خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة . قال عمرو بن العاص : (فقلت له أين يا أبا سليمان ؟ قال واٍ لقد استقام الميسم " أي تبين الطريق وظهر الأمر " وأن الرجل لنبي . أذهب واٍ فأسلم فحتى متى ؟ قلت : واٍ ما جئت إلا لأسلم فقدمنا المدينة على رسول اٍ فتقدم خالد بن الوليد) .

قدم خالد هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة العبدري على رسول اٍ فلما رأهم A قال لأصحابه (رمتكم مكة بأفلاذ كبدها) وذلك لرفعة شأنهم في قريش . قال خالد بن الوليد (لما أراد اٍ D بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضر لي رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنني موضع في غير شيء وأن محمدا يظهر . فلما جاء لعمره القضية تغيبت ولم أشهد دخوله وكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب إلي كتابا فإذا فيه :

بسم اٍ الرحمن الرحيم . أما بعد فإنني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك أو مثل الإسلام يجهله أحد ؟ قد سألني رسول اٍ A عنك . فقال أين خالد ؟ فقلت يأتي اٍ به . فقال : ما مثله يجهل الإسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره . فاستدرك يا أخي قد فاتك من مواطن صالحة .

فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة رسول اٍ A ورأيت في المنام كأنني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة . فلما أجمعت على الخروج إلى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى أن محمدا طهر على العرب والعجم ؟ فلو قدمنا عليه واتبعناه فإن شرفه شرف لنا ؟ فقال : لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا . فقلت هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر . فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان . قلت فاکتم ذكر ما قلت لك . قال لا أذكره . ثم لقيت عثمان بن طلحة الحنفي . قلت هذا لي صديق فأردت أن أذكر له . ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربعة : مسافع والجلال والحارث وكلاب فإنهم قتلوا كلهم يومئذ يوم أحد فكرهت أن أذكر له . ثم قلت له : إنما نحن بمنزلة ثعلب في حجر لو صب فيه ذنوب من الماء لخرج . ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة وواعدني إن سبقني أقام بمحل كذا وإن سبقته إليه انتظرتة فلم يطلع الفجر حتى التقينا فعدونا حتى انتهينا إلى الهدة " اسم محل "

فوجدنا عمرو بن العاص بها . فقال : مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال أين مسيركم ؟ قلنا الدخول في الإسلام فقال : وذلك الذي أقدمني) .

فوصلوا المدينة وقال خالد (فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيت أخي فقال أسرع فإن رسول الله ﷺ قد سر بقدمكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشي فأطلعت عليه فما زال رسول الله ﷺ يبتسم حتى وقفت عليه . فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ﷺ قال : " الحمد لله الذي هداك وقد كنت أرى لك عقلا رجوت أن يسلمك إلا إلى خير " قلت : يا رسول الله ﷺ ادع الله أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدا عليك . فقال A : " الإسلام يجب ما كان قبله " وتقدم عثمان بن طلحة وعمرو فأسلما وقد شهد رسول الله ﷺ لخالد بالعقل كما ترى) .

إن خالدا كما قلنا كان من رجال قريش المعدودين فكان أشجعهم قلبا عالما بفنون الحرب فارسا مغوارا لا يرهب الموت ولا تهوله كثرة الجيوش لكنه مع ذلك أخفق في محاربة رسول الله ﷺ ولم تنفعه شجاعته ولم تفده فروسيته لذلك كان يرى أنه في غير شيء إزاء رسول الله ﷺ كما اعترف بنفسه . فماذا يعمل خالد وغير خالد أمام النبوة ورسول الله ﷺ يمده الله سبحانه وتعالى بالقوى الظاهرة والباطنة وتقع على يديه المعجزات الباهرة التي دونها بطولة الأبطال وشجاعة الشجعان وعلوم الخلق كافة ويبشره الله بالنصر والفتح المبين ؟ وماذا يفعل وهو يرى انتشار الإسلام ودخول الناس في دين الله أفواجا . وقد ألفى نفسه وحيدا كعمرو بن العاص لا يقدر على عمل شيء . هذا وقد كان رسول الله ﷺ يعرف الرجال ويقدرهم ولذلك كان يرجو أن يهدي الله ﷻ خالدا إلى الإسلام ويجعل نكايته مع المسلمين على المشركين فنصحه أخوه الوليد الذي سبقه إلى الإسلام أن يسلم فأثر فيه النصح بعد أن فكر في مواقفه الماضية وفكر في كرامته فبادر إلى الدخول في الإسلام تكفيرا عن سيئاته وإراحة لضميره وصونا لكرامته وقد صدقت فيه فراسة رسول الله ﷺ كما صدقت فراسته في عمر بن الخطاب فإن خالدا بعد أن أسلم دافع عن الإسلام دفاعا مجيدا قل أن يحدث مثله في تاريخ العالم . وقد شهد له بذلك الصحابة والأمم التي حاربها من فرس وروم واعترف له علماء التاريخ بالكفاية الحربية النادرة وصدق فيه قول رسول الله ﷺ (إنه سيف من سيوف الله) .

وقد كتب الأستاذ أوجست مولر في كتابه (الإسلام) يصفه فقال : (لقد كان خالد من أولئك الذين كانت عبقريتهم الحربية هي مل حياتهم الفكرية مثل نابليون فإنه لم يعن بشيء غير الحرب ولم يرد أن يتعلم شيئا غير ذلك) .

وهذا ما قاله خالد عن نفسه (شغلني الجهاد عن تعلم كثير من القرآن) . ومن ذا الذي يدري ماذا كان يصنعه خالد لو أنه تلقى الفنون الحربية واستعمال الأسلحة المختلفة وأساليب القيادة وخطط الهجوم والدفاع أو لو أنه عاش في زمن انتشرت فيه الطرق

المنظمة وامتدت السكك الحديدية لنقل الجيوش وتموينها في ومن اختراع التلغراف والتليفون واللاسلكي والأسلاك الشائكة والغازات الخانقة والمدافع الكبيرة والأساطيل العجيبة والمفرقات المخيفة والطائرات التي تلقي القنابل ؟ .

ألا ترى أنه بواهبه الحربية الفطرية وشجاعة قلبه وعقيدته الإسلامية قاد جيوش المسلمين على قلة عددهم وعددهم التي لم تتجاوز السيف والقوس والفرس فهزم امبراطوريتين ملكتا العالم بكثرة جيوشهما ووفرة الذخائر والمال - ألا وهما الفرس والرومان فكانت جيوشهما تقتل وتفر أمامه من الميدان مهزومة وكبار القادة يصرعون أو يسلمون والمدن الحصينة تفتح أبوابها وتسلم وتخضع أمام قوة العقيدة وصدق الإيمان والإخلاص وعدم الاكتراث بمواجهة الجيوش الجرارة طمعا في الشهادة فهل تقاس هذه الشجاعة الخارقة وتلك المواهب النادرة التي اكتسحت الأمم بأي قائد من قواد الدنيا ؟ اللهم لا .

كان خالد بن الوليد موضع إعجاب أبي بكر الصديق عليه وحسن تقديره فكان إذا هزم الفرس استدعاه لقتال الروم فيسير إلى الشام هو وجيشه الذي كان أطوع له من بنائه من غير أن يذوق للراحة طعاما فلا يكاد يقود الجيش في الميدان الآخر حتى يفتح البلاد والحصون المنيعة ويوقع الرعب في قلوب الأعداء فيستولي المسلمون على بلادهم ويفر أمبراطور الروم من وجهه ويودع الشام الوداع الأخيرة كما فر وقتل قواد الفرس وعظماؤهم .

أليس من المدهش أن خالدا لم يهزم في موقعة من المواقع بل كان رائده النصر على الدوام ؟ وكان العدو يخاف ويقع الرعب في قلبه بمجرد ذكر اسمه أو اقتراب جيشه . لذلك كانوا يبادرون إلى عقد الصلح معه لئلا يداهمهم بما لا قبل لهم به . وقد سأله عظيم من الروم هل أنزل الله عليه سيفا من السماء يحارب به الأعداء ؟ .

كان إسلام خالد في شهر صفر بعد الحديبية وكانت الحديبية في ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية (فبراير سنة 628 م) .

شهد خالد غزوة مؤتة وقد كان الأمير في غزوة زيد بن حارثة واستشهد فيها زيد ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فاستشهد أيضا . ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقتل أيضا . ثم اتفق المسلمون على دفع الراية إلى خالد بن الوليد فأخذها وقاتل قتالا شديدا . وما زال يدافع القوم حتى انحازوا عنه . ثم ارتد بانتظام وعاد بجيش المسلمين سالما إلى المدينة وفي هذه الغزوة سماه النبي A سيفا من سيوف الله إذ لولا تدبره وإحكامه خطة التفهقر لقضي على الجيش لقله عدده أمام ذلك الجيش العظيم .

وشهد خالد فتح مكة وحنينا وفي غزوة حنين قتل امرأة فنهاه النبي A عن قتل النساء والأولاد والأجراء .

ثبت في صحيح البخاري عن خالد أنه قال : (اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت في

يدي إلا صفيحة يمانية) .

وولاه رسول الله أعنة الخيل فكان في مقدمتها وشهد فتح مكة فأبلى فيها وبعثه رسول الله إلى العزى (صنم) فهدمها وقال : .

يا عز كفرانك لا سبحانك ... إنني رأيت الله قد أهانك .

وبعد أن هدم خالد العزى رجع إلى رسول الله فقال له : هل هدمتها ؟ قال نعم . فقال له : هل رأيت شيئا ؟ فقال لا . قال فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها . فرجع وهو متغيظ فلما انتهى إليها جرد سيفه فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة الرأس فجعل السادان (خادم الصنم) يصيح بها قال خالد وأخذني اقشعرار في ظهري فجعل السادان يصيح ويقول : . أعز شدي شدة لا تكذبي ... أعز ألقى للقناع وشمري .

أعز إذا لم تقتلي اليوم خالدا ... فبؤني بذنب عاجل وتنصري .

فأقبل خالد إليها بالسيف فضربها فشقها نصفين ثم رجع إلى رسول الله فأخبره . فقال : (نعم تلك العزى قد أيست أن تعبد ببلادكم أبدا) ثم قال خالد : (أي رسول الله الحمد الذي أكرمنا بك وأنقذنا من التهلكة . ولقد كنت أرى أبي يأتي إلى العزى ومعه مائة من الإبل والغنم فيذبحها للقرى ويقيم عندها ثم ينصرف إلينا مسرورا فنظرت إلى ما مات عليه أبي وذلك الرأي الذي كان يعاش في فضله كيف خدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع) فقال رسول الله : (إن هذا الأمر إلى الله فمن ييسره للهدى ييسر ومن ييسره للضلالة كان فيها) .

ولا يصح لخالد مشهد مع رسول الله A قبل فتح مكة وأرسله رسول الله إلى أكيدر صاحب دومة في رجب سنة تسع وأحضره عند رسول الله فصالحه على الجزية وردّه إلى بلده . وأرسله رسول الله سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بن مذحج فقدم معه رجال منهم فأسلموا ورجعوا إلى قومهم .

وأمره أبو بكر الصديق B على قتال مسيلمة الكذاب والمرتين باليمامة وكان له في قتالهم الأثر العظيم كما مر ذكره في كتابنا هذا وله الآثار المشهورة في قتال الروم بالشام والفرس بالعراق وهو أول من أخذ الجزية من الفرس في صلح الحيرة وافتتح دمشق وكان في قلنسوته شعر من شعر رسول الله يستنصر به ويتبرك فلا يزال منصورا .

ولما حضرت خالد الوفاة قال : .

(لقد شهدت مائة زحف أو نحوها وما في بدني موضع شبر إلا وبه ضربة أو طعنة أو رمية وها أنل أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء وما لي من عمل أرجى من لا إله إلا الله وأنا متترس بها) .

وكان يشبه عمر بن الخطاب B في خلقه وصفته .

وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب سنة 21هـ (641 - 642 م) وعمره بضع وأربعون سنة وكانت وفاته بحمص وقبره مشهور يزار إلى الآن في ضمن مسجد واقع خارج السور إلى الجهة الشمالية من حمص وقد اتصل به العمران وصار حوله لهذا العهد حي يسمى (حي سيدي خالد) كما يسمى المسجد أيضا مسجد سيدي خالد .

قال رفيق بك العظم في كتابه (أشهر مشاهير الإسلام) وقد زرته مرة فوجدت عليه من المهابة والوقار ما يأخذ بمجامع القلوب التي يعرف أصحابها أقدار الرجال ويتأثرون بذكرى عصر أولئك الأبطال .

وقد كان لخالد أولاد كثيرون انقرضوا جميعا في الطاعون فلم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة .

وكان عمر يقول لما مات خالد : قد ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتق ولقد ندمت على ما كان مني إليه .

ورثته أمه فقالت : .

أنت خير من ألف ألف من الن... اس (الناس) إذا ما كبت وجوه الرجال .

أشجاع فأنت أشجع من لي... ث (ليث) عرين حميم إلى الأشبال .

أجواد فأنت أجود من سي... ل (سيل) دياس يسيل بين الجبال .

ولخالد كرامات منها أنه ابتلع السم فلم يؤثر فيه كما مر ذكره ومنها ما رواه ابن أبي

الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة قال أتى خالد بن الوليد رجل معه زق خمر . فقال : اللهم

اجعله عسلا فصار عسلا . رحمة واسعة ونفعنا بذكرى حياته المملوءة عبثا وشهامة وبلاء حسنا

في سبيل الله . وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية حروب خالد في خلافة عمر بن الخطاب في كتابنا

(عمر بن الخطاب) .

وقد أردنا بهذه الكلمة الوجيزة تذكير المسلمين بحياة هذا البطل الطائر الصيت الذي

سجل في تاريخ القيادة والبطولة صفحات ذهبية خالدة ولا شك (أن حياة خالد خالدة) في

الأسفار والقلوب وأردنا كذلك أن نصور هذه الشخصية البارزة بصورة جلية واضحة حتى تكون

ماثلة أمامنا باعثة للهمم وعبرة للمعتبرين وقدوة يقتدي بها الأبناء في حسن البلاء

والإقدام والصبر والإخلاص ورفع الشأن والتمسك بالمبدأ حتى النفس الأخير فإن يمثل هذا

القائد العظيم فتح الله على المسلمين فنشروا التوحيد والعقيدة الصحيحة وقضوا على الوثنية

والشرك ووضعوا دعائم العدل والفضل